يصعب أن نعتقد أنه يوجد من يحسد وزير الدفاع موشيه (بوغي) يعلون. فهذا الشخص الموجود في قمة الهرم الأمني في إسرائيل هو الذي يُجيز خطط عمليات، ويعرف من قريب التهديدات في جميع الجبهات ويضطر في مقابل ذلك إلى مواجهة مطالب تقليص الميزانية الأمنية ولقاءات مؤلمة مع العائلات الثكلى ومع الجرحى. وبعد انقضاء عملية "الجرف الصامد" بشهر ونصف يتفرغ يعلون لأول مقابلة صحفية شاملة.

"أنا راض من جهة أخلاقية عما استقر رأينا عليه"، يقول وزير الدفاع مُبينا المعضلات الأخلاقية التي واجهته. كانت المهمة المس بالمخربين لكن تم المس في غزة في واقع الأمر بمدنيين كثيرين هم فلسطينيون غير مقاتلين. "حينما أنظر في الحاجة إلى استعمال قوة على الطرف الآخر أضع لنفسي ثلاثة اختبارات: الاختبار الأول هو قدرتي على النظر في المرآة بعد اطلاق النار أو بعد أن أُجيز عملية. وبعد ذلك أختبر الأمور من وجهة نظرنا القانونية وبحسب القانون الدولي. ولو شارك الجميع في مباحثات إجازة عملية عسكرية لتبين لهم أنه توجد معضلات غير بسيطة مثل معضلات متى نطلق النار، ومعضلات لا تقتل باعتبار قداسة الحياة وبين مبدأ "من استيقظ لقتلك فبكر بقتله". اجل، إنني راض عما استقر رأينا عليه خلال عملية الجرف الصامد.

"نحن نُقدر التناسب والأخلاق وقداسة الحياة عند الأطراف جميعا، لكن يوجد في الجانب الآخر عدو لا يعمل لا بحسب القانون الدولي ولا بحسب أخلاق قداسة حياة الإنسان حتى ولا نحو ناسه ومواطنيه الذين يوجههم إلى مقدمة الجبهة، والمعضلات غير بسيطة. وبعد ذلك يأتون من الأمم المتحدة ويطلبون تفحصنا. واضح أنه يوجد هنا نفاق؛ فليتفحصوا حماس. لكن انتقادنا والهجوم علينا أسهل ويوجد هنا تأليف بين النفاق ومعاداة السامية وربما أشياء أخرى".

محمد ضيف – هل هو حي أم ميت؟

"إما حي وإما ميت".

أكان من الصواب طرح قذيفة على البيت وقد علموا أن زوجته وابنته هناك؟

"هذا بالضبط من نوع المعضلات التي قلت إنني اسأل هل استطيع أن أنظر لنفسي في المرآة بعد إجازة العملية، وكانت هذه العملية من الصواب".

في عملية "الجرف الصامد" عمل رئيس الوزراء وأنت ورئيس هيئة الأركان مثل ثلاثة في قمة القيادة واستقر رأيكم على ألا تسقطوا حكم حماس، فهل تستطيع أن تفسر لماذا؟

"لم نصل إلى عملية الجرف الصامد فجأة. فقد كان المجلس الوزاري المصغر الحالي منذ كانت ولاية هذه الحكومة متأهبا. وكانت مباحثات سابقة تتعلق بقطاع غزة وجبهات أخرى اذا ما اضطررنا إلى العمل في لبنان وسوريا وأماكن أبعد أيضا، لهذا أجرينا مباحثات عميقة، وأُثيرت إمكانات كثيرة وعُرضت فيها خطط عمليات تشمل إمكانية أن ندخل غزة ونحتلها ونعمل في تطهيرها. وفي تقديرات الكلفة – الفائدة خلصنا إلى استنتاج أن ليس من الصحيح في هذا الوقت أن ننفذ عملا من هذا النوع. وأدركنا أنه لا يوجد من يحل محلنا بعد أن نحتل ونطهر: لا أبو مازن ولا المصريون ولا الجامعة العربية ولا الأمم المتحدة أي أننا اذا دخلنا إلى هناك فسنعلق هناك".

لماذا لا نحتل ونطهر ونخرج؟

"وماذا يكون بعد ذلك، وماذا نكون فعلنا بذلك؟ أليسوا يقولون إنكم قمتم بحملة السور الواقي في يهودا والسامرة في بداية القرن الواحد والعشرين فلماذا لا تنفذون سورا واقيا في غزة. وأُذكرهم بأننا في السور الواقي احتجنا إلى نحو من ثلاث سنين لنصل إلى تطهير يهودا والسامرة من بنية الإرهاب التحتية وقد كان هناك بضع مئات المخربين فقط، والحديث في غزة عن عشرات الآلاف. وفي المعركة الشهيرة في جنين خسرنا 23 مقاتلا، وكان هذا في غزة حكاية شارع واحد في حي جباليا. وفي قطاع غزة توجد النصيرات والشبورة والشاطئ والبرج وغيرها والوضع هناك أكثر تعقيدا، فهناك مناطق مبنية وأبنية متعددة الطوابق، ومثل هذا المبنى يعني أن ندخل كتيبة لنطهره. وتوجد أيضا مدينة انفاق تحت الأرض. وأقول مرة أخرى إن الجيش يعرف فعل هذه الأشياء لكن كل ذلك مسألة كلفة وما الذي نحرزه.

"لم يكن في عملية السور الواقي في يهودا والسامرة مدافع "آر.بي.جي" وكنا نركب سيارات جيب مدرعة. وفي قطاع غزة مدافع "آر.بي.جي" وصواريخ "كورنت" والتهديد أكبر، وفي الدخول إلى هناك نستعمل دبابات المركباه من الطراز الرابع ومنظومة "معطف الريح" وناقلات جنود "النمر" ونستخدم أفضل القوات. وفي السور الواقي أنهوا العمل في غضون ثلاث سنوات لكن الأمر سيستغرق هنا زمنا أطول ولا يوجد مانع في أثناء هذا الزمن من أن تستمر حماس على اطلاق القذائف الصاروخية على إسرائيل مفرقة هنا وهناك. وأن تقتنص القوات وتوقع القتلى. ولا ينتهي الأمر بالسيطرة مدة عشرة أيام بل يحتاج إلى عدة سنوات تطهير. ولست على يقين من أن هذه الحكومة تستطيع أن تجتاز هذا الوضع لأن الشعب لو حدث ذلك لسأل: تمهلوا، ما الذي نبحث عنه هناك؟ ولماذا دخلنا وخرجنا؟ واذا لم نوقف اطلاق الصواريخ فلماذا دخلنا؟ ولهذا من المؤكد في هذا الشأن صحة قول إن الفعل ينبغي أن يسبقه التفكير".

"اختاروا القذائف الصاروخية بدل التوت"

لا يذكر وزير الدفاع أسماءً، لكنه ينتقد تعريضا الوزيرين افيغدور ليبرمان ونفتالي بينيت وآخرين هاجموا تدبيراته في أثناء العملية: "يؤسفني أن كلاما خرج من داخل المجلس الوزاري المصغر بسلوك غير مناسب. حدث قتال وكان هناك وزراء اشتغلوا بالسياسة في الخارج في تهييج واطلاق شعارات وكأنهم يؤيدون القضاء على حماس في حين يعارضه غيرهم، ولهذا كان هنا سلوك غير مناسب اضطررنا إلى التطرق إليه خلال العملية وأدى بنا ذلك إلى أماكن غير طيبة فيما يتعلق بسلوك المجلس الوزاري المصغر في العملية".

جرى الحديث كثيرا عن الاكتئاب وربما كان ذلك لأنهم أدركوا أنه لا يمكن قهر غزة ولا يمكن الانتصار كما ينبغي، بسبب الكلفة التي ذكرتها بالضبط.

"السؤال قبل كل شيء هو ما هو الحسم العسكري؟ إننا نتوق إلى الحسم العسكري في الأيام الستة، وقد كان هناك نصر لامع بيقين من جهة عسكرية حيث تم القضاء على جيوش الدول العربية المجاورة. لكن بعد كم بدأت حرب الاستنزاف؟ بعد زمن قصير جدا. ولهذا فان مسألة الحسم العسكري تثير الاهتمام وتقتضي فحصها. وأزعم أن الحسم العسكري هو القدرة على تأدية الطرف الآخر إلى هدنة بحسب شروطك. وهكذا رأينا المعادلة قبل العملية وبعدها أيضا. اجل أدينا بحماس إلى هدنة بخلاف مطامحها وهذا إنجاز دون أي شك. ويوجد حسم عسكري على الأرض بسبب الثمن الباهظ الذي دفعه القطاع. وأُقدر أن يفكروا مرتين قبل أن يتجهوا إلى التصعيد العسكري مرة أخرى. بعد عملية عمود السحاب استمر الردع سنة ونصفا، ودفعوا ثمنا عن ثمانية أيام قتال، لكن من المؤكد أن الثمن أبهظ كثيرا هنا وستنبئنا الأيام بالردع الذي أحرزناه بعد العملية".

ما هو الحل في غزة من جهة سياسية؟

"خرجنا من غزة، واختار الغزيون حماس التي اختارت لهم صنع القذائف الصاروخية بدل تصدير التوت الأرضي وهم يدفعون ثمنا عن ذلك. ويبدو أن هذا ليس حلا وليس شيئا مستقرا ثابتا، لكن يجب أن نتحدث عن "إدارة الأزمة" فيما يتعلق بغزة وما يتعلق بيهودا والسامرة على نحو يخدم مصالحنا. وعلى حسب تصور الجدار الحديدي سيدركون أننا باقون هنا أبدا، أو بحسب تصور الدكتور موشيه بلنسون الذي كان نائب محرر صحيفة "دافار" منذ بدأت الأحداث في 1936، حينما سألوه إلى متى فقال: إلى أن يدرك آخر أعدائنا أننا هنا إلى الأبد. ولا يوجد اختصار للطريق. وقد فشلت محاولتنا اختصار الطريق في العقدين الأخيرين – من أوسلو إلى اليوم، ونعرف كيف نُعايش ذلك. من المؤكد أنه لا حاجة إلى السيطرة عليهم بل إلى تمكينهم من استقرار سياسي كما هي الحال اليوم".

أما زال أبو مازن شريكا؟

"لم يقل أبو مازن قط إنه سيعترف بدولتنا أنها الدولة القومية للشعب اليهودي، ولم يقل قط أيضا إنه اذا وجد اتفاق تصالح حتى بحسب طريقته في خطوط 1967 فسيكون نهاية الصراع وإنهاء للمطالب. ولم يقل قط إنه تخلى عن حقوق اللاجئين فالى أين يمكن الوصول معه اذا؟ إنه شريك في الحوار وشريك في إدارة الصراع وأنا لا أبحث عن الحل بل أبحث عن طريقة لإدارة الصراع وإدارة العلاقات على نحو يقوي مصالحنا. ويجب أن نتحرر من تصور أن كل شيء يدخل في اطار يسمى دولة. ومن جهتي فليسموها اذا شاءوا الإمبراطورية الفلسطينية، ماذا يهمني؟ إنها في الحقيقة منطقة حكم ذاتي اذا أصبحت آخر الأمر منطقة منزوعة السلاح. وليس ذلك وضعا راهنا بل هو إحداث تسوية مؤقتة محتملة تخدم مصالحنا".

هل تكفر بفكرة الدولتين؟

"سمي ذلك كما شئت. إن الانفصال السياسي قد تم من قبل، وحسن أن كان ذلك، ونحن لا ندير الحياة لا في غزة ولا في يهودا والسامرة، وهذا الانفصال مهم. وأنا أشجع وأعزز القدرة على الحكم والاقتصاد وقدرة المواطن على العيش هناك في كرامة ورفاه، لكن لا ينبغي أن نشتق من ذلك فورا الأسود أو الأبيض أو الدولة أو اللادولة، تعال نترك المصطلحات".

هل يكون لهم أو لا يكون اتصال بين المناطق يُكوّن مفهوم دولة؟

"أقول أولا إنه سيكون من الممكن الربط بين نابلس وجنين ورام الله اذا كانت هذه هي المشكلة، والسؤال هنا هو ما هي مطامح الأمد البعيد. اذا كنا نبحث عن السلام والأمن وعن العيش في هدوء وسكينة فهذا شيء واحد. لكن الطرف الآخر لا يعتقد أن خطوط 1967 هي نهاية الأمر وهم لم يقولوا قط إنها نهاية الأمر بل يرون أنها مرحلة، والذي يشغلهم في الحقيقة ليس إنشاء دولة بل القضاء على الدولة اليهودية وعدم تمكين وجودها. فيوجد هنا اذا عدم تناسب في غير مصلحتنا ويجب أن نعرف كيف ندير هذا الصراع دون أوهام".

"المصالح فوق الاختلافات"

أثار يعلون عاصفة حينما اقتُبس من كلامه أنه نبز وزير الخارجية الأمريكي جون كيري بأنه "مسيحاني وهاذٍ". وبرغم ذلك يرفض ما يُدعى عليه أنه لا يعامل وزير خارجية أكثر الدول صداقة لإسرائيل باحترام. "هل سمعتني أقول ذلك؟ وهل قال أحد ما إنني قلته"، يقول، "إن منظومة العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة هي منظومة مهمة جدا لنا أولا؛ وآمل أن تكون كذلك للولايات المتحدة أيضا. والعلاقات الأمنية بين الطرفين ممتازة، وكذلك العلاقة الشخصية بيني وبين وزير الدفاع تشاك هيغل وبين وزارة الدفاع ووزارة الدفاع الامريكية وبين الجيش الإسرائيلي وجيش الولايات المتحدة، ولا يعني ذلك أنه لا يوجد جدل، فالجدل موجود حتى بين الأصدقاء، ولا يعني أن الجدل يجب أن يخرج على نحو ما.

"أجل يوجد جدل بيننا، فنحن نتجادل في كيفية علاج المشروع الذري الإيراني وفي مسألة فيمَ يُباحثون الإيرانيين. فهل يُباحثونهم في الإرهاب والصواريخ أو يُباحثونهم في أجهزة الطرد المركزي فقط. وسبق جدل في كيفية تدبير الأمور مع مصر مع مبارك ومع الإخوان المسلمين وفي علاقة الأمريكيين بالسيسي. كان جدل ورأينا الأمور على أنحاء مختلفة، والاختلافات مشروعة في داخل الغرف المغلقة، ومفهوم أنه توجد أيضا خلافات في الشأن الإسرائيلي الفلسطيني فيما يتعلق بمبلغ مركزيته بوضع الشرق الأوسط، وهل هو مصدر عدم الاستقرار في المنطقة أو أن مصدره غيره. أعتقد أنه لا يوجد اليوم زعيم عربي يزعم مثلا أن القضية الفلسطينية هي لب المشكلات في الشرق الأوسط، فالذي يشغلهم تهديدات ايران وداعش والإخوان المسلمين.

"لنا مع الولايات المتحدة مصالح مشتركة كثيرة تغلب الاختلافات. ومن المؤكد أنه توجد قيم مشتركة تدبر الدولتان أمورهما على أساسها. وتنبع الاختلافات من فروق في التصور ووجهة النظر، فما يرونه من هناك نراه من هنا بصورة مختلفة، والاختلاف مباح، وعندنا أيضا اختلافات في تحليل الأمور والتشخيص ووصف العلاج".

ألم تشعر بحاجة إلى الاعتذار إلى كيري؟

"قلت ما كان يجب أن أقول، ويكثرون من الحديث عن أن كيري سمع مني مباشرة بصورة شخصية أنه من المؤكد أنني لم أقل ما اقتُبس في تلك الصحيفة، ولا يسمعونني هنا في البلاد أتحدث بهذه الطريقة عن أشخاص لا في الكنيست ولا في مقابلات صحفية ولا في أماكن أخرى، ولهذا لم تكن الصورة التي خرج الكلام عليها إلى الخارج، لم تكن مناسبة.

"الولايات المتحدة هي القوة العظمى الأولى في العالم وما زالت القوة العظمى الأولى حتى لو تحدثنا عن عالم متعدد الأقطاب وعن صعود قوى أخرى وربما عن تهاوي مكانة الولايات المتحدة. ولها تأثير كبير جدا في كل المجالات وهي تقود الحلفين على داعش في العراق وسوريا، وهي تجري مفاوضات مع الإيرانيين في الشأن الذري، وهي القائدة في منظمات دولية وفي الأمم المتحدة، ويوجد مجلس النواب أيضا الذي يملك قوة قائمة في حد ذاتها. فمجلس النواب الأمريكي هو الذي قاد مسار العقوبات على ايران، وهو الذي جعل خامنئي يخلص إلى استنتاج أنه يجب عليه للبقاء أن يفاوض. ويوجد فوق كل ذلك أيضا الشعب الأمريكي الذي لنا معه قيم مشتركة".

من الخلافات الكبيرة مع الولايات المتحدة مسألة البناء وراء الخط الأخضر، ويوجد قادة مستوطنين يتهمونك بتجميد البناء ويتهمونك في مقابل ذلك بإجازة متسرعة للبناء.

"لا يوجد تجميد بناء، بل يوجد تأخير إعلانات بمسارات التخطيط بسبب الحساسية. ويجب من هذه الجهة السلوك بحكمة وألا نجلب علينا قرارات دولية صعبة نأسف بعد ذلك لأننا وصلنا إلى تلك الزوايا".

يؤكد وزير الدفاع أن إسرائيل مستعدة لكل إمكان، في كل جبهة. ويقول فيما يتعلق بالجبهة الشمالية: "لا نرى الآن أن حزب الله متجه إلى تصعيد عسكري، فالحدود في مزارع شبعا محددة، حينما استصوب حزب الله أن يرد على عمليات نسبها إلينا. عند حزب الله 100 ألف قذيفة صاروخية وصاروخ – من ايران وسوريا خاصة. وهذه المنظمة متعلقة بإيران التي هي مصدر المشكلة.

"نحن نستعد لامكان تصعيد عسكري من كل جبهة لا من الجبهة اللبنانية فقط. وقد أصبح كل من يهددنا بالصواريخ يدرك قبل عملية الجرف الصامد وبعدها أننا سنجبي منه ثمنا باهظا جدا، واذا كان دُمر في ضاحية بيروت 70 مبنى فقد تحدثوا عن تدمير 7 آلاف مبنى في غزة تدميرا كاملا. والاستنتاج واضح وهو أنهم يدفعون آخر الأمر ثمنا باهظا اذا وجهوا عملهم علينا. واذا صعّد حزب الله فسيدفع ثمنا باهظا وستدفع لبنان ثمنا باهظا. فالهجوم اليوم أيضا هو أفضل الدفاع. ومع ذلك فان دولة إسرائيل في نهاية المطاف ومن جهة تهديد القذائف الصاروخية هي آمن مكان في العالم بفضل دفاع متعدد الطبقات – من القبة الحديدية إلى منظومة حيتس".

يضمن يعلون أن تنظيم الدولة الإسلامية المتطرف الذي يقلق العالم الآن لا يهدد إسرائيل، ويقول: "الدولة الإسلامية بعيدة عنا الآن، وكانت تستطيع أن تهدد لو احتلت سوريا من الغرب وباتجاهنا، لكن الوضع اليوم ليس كذلك".

أصبح يُثار للنقاش العام في الأسابيع الأخيرة في الغرب سؤال هل ينبغي إخراج تركيا من عضويتها في منظمة حلف شمال الأطلسي. ويفضل يعلون ألا يتطرق إلى ذلك مباشرة لكنه يُبين قائلا: "اذا كانت توجد دولة هي عضو في الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي وتؤيد حماس في نفس الوقت – التي هي بلا شك منظمة إرهاب توجه عملها على مواطني دولة إسرائيل – فان المتوقع أن تُدعى إلى الانضباط".

العلاقات بمصر طيبة لكنها غير معلنة كالعلاقات بدول عربية معتدلة أخرى.

"نعم، يؤسفني أن دولة إسرائيل ما زالت تعتبر نبتة غريبة في المنطقة ولهذا يصعب التوصل إلى تطبيع، وأقول إن العلاقات تحتاج إلى المصالح قبل كل شيء، فحينما يُسأل إسرائيلي من الأوساط عن السلام يسأل ثلاثة أسئلة على نحو آلي: ما هي الأرض التي يجب التخلي عنها من اجل السلام، وهذا سؤال أكفر به. والسؤال الثاني هو متى سنأكل الحمص في رام الله ودمشق وبيروت وهلم جرا. وليس ذلك يكون لكنني أكتفي بحمصنا. والسؤال الثالث وهو الأكثر إشكالية – اذا وجد سلام فأين المحامون الذين يصوغون الاتفاق المفصل الذي سنوقع عليه في مراسم ما في أوسلو والبيت الأبيض؟ وأزعم أن اتفاقا بلا مصالح لا يساوي الورقة التي يوقع عليها. والمصالح لا تقتضي اتفاقات أو مراسم.

"يوجد سلام مع الأردن ومع مصر أصبح يقوى في السنوات الأخيرة بسبب المصالح. ويمكن أن نرى جيدا كما قال رئيس الوزراء نتنياهو في الجمعية العمومية أن الأفق السياسي لا يمر برام الله بل بعواصم عربية أخرى دون مراسم واتفاقات وعلى أساس مصالح مشتركة. وما أفضل أنه يوجد لنا وللدول السنية أعداء مشتركون كإيران والإخوان المسلمين والمحور الشيعي وعناصر الجهاد العالمي والقاعدة".